وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مجلة

الفلسفة

مجلة اكاديمية محكمة تصدر عن كلية الاداب في الجامعة المستنصرية

AN ACADEMIC PEER-REVIEWED JOURNAL

الترقيم الدولي ISSN:1136-1992

المعرف الدولي DOI : 10.35284

الفلسفة

4/2021

العدد 23 2021

العدد الثالث والعشرون

٢٠٢١

مدير التحرير

أ.م.د.حيدر ناظم محمد

كلية الآداب -المستنصرية

سكرتير التحرير

م.د أسماء جعفر فرج

كلية الآداب -المستنصرية

الاشراف اللغوي

م.د.منار صاحب

كلية الآداب/المستنصرية

اخراج وتنضيد

م.م.أثير محمد مجيد

المحاسب المالي

رنا حسين عباس

مسؤول العلاقات والإعلام

المهندسة

ريهام ماجد عبد الكريم

تصميم وطباعة

مكتب الأثير

للنشر والطباعة

مجلة الفلسفة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية يصدرها قسم الفلسفة

المجلة حاصلة على المعرف الدولي Doi

تحت رقم prefix :10.35284

رئيس التحرير

ا.د. رحيم محمد الساعدي

الهيأة العلمية الاستشارية

1.ا.د.يمنى طريف الخولي – كلية الآداب – جامعة القاهرة- مصر.

2.ا.د. عفيف حيدر عثمان - الجامعة اللبنانية – لبنان .

3-Professor:Juan Rivera Palomino- San Marcos – Peru

4.ا.د. مصطفى النشار – كلية الآداب – جامعة القاهرة – مصر.

5.ا.د. احمد الوشاح – كليات كليرمونت – كلية بيتزر- لوس انجلس – امريكا

6.د. احسان علي شريعتي –كلية الاديان – جامعة طهران – ايران

7.ا.د. افراح لطفي عبد الله – كلية الآداب – جامعة بغداد – العراق

8.ا.د.عامر عبد زيد الوائلي – كلية الآداب – جامعة الكوفة – العراق

9.ا.م.د. محمد حسين النجم - كلية الآداب – الجامعة المستنصرية – العراق

البريد الالكتروني

art.phi_magazine@uomustansiriyah.edu.iq

الترقيم الدولي:Issn (١٩٩٢-١١٣٦)

فهرست بدار الكتب والوثائق وإيداعها تحت رقم (٧٤٢)لسنة (٢٠٠٢)

الفلسفة

مجلة علمية محكمة يصدرها قسم الفلسفة

العدد
الثالث والعشرون

٢٠٢١

المحتويات

كلمة رئيس التحرير

الفلسفة اليونانية

تناسخ الأرواح في الفلسفة اليونانية — أ.د.عارف عبد فهد، الباحثة شيماء هاشم عذير — ٣-٢٠

محور الفلسفة الحديثة

أثر الشك المعرفي في ظهور فكرة التسامح في القرن السابع عشر — أ . م . د محمد حبيب سلمان الخطيب — ٢٣-٤٠

المعرفة عند فرنسيس بيكون دراسة من منظور مختلف — أ. د. صباح حمودي المعيني — ٤١-٦٠

محور فلسفة الفكر العربي المعاصر

مفهوم قابلية الكمال لدى الإنسان عند روسو وتأثيره في فرح أنطون — عبد العزيز الخال /المغرب — ٦٣-٧٢

الجانب الفكري في العقيدة الموشومة دراسة في الأمثال العراقية — م.د.ضحى علي حسين — ٧٣-٨٦

الفلسفة المعاصرة

موقف الفيلسوف جون ديوي من فلسفة الاقتصاد الماركسي — أ.م.د.منتهى عبد جاسم، سارة خزعل محمد — ٨٩-١١٠

محور أخلاقيات علم النفس

إجهاد الشفقة وعلاقته بمعنى الحياة — م.د.انوار محمد عيدان، فاتن غانب عوده — ١١٣-١٣٦

الاستدلال الاخلاقي وعلاقته بالاشمئزاز الاخلاقي لدى طلبة الجامعة — أ.د.بان عدنان عبد الرحمن، وسام قحطان عبد علي — ١٣٧-١٥٦

الامتنان النفسي أسلوب حياة (المفهوم - التنظير) — أ.م.د.وجدان جوادعبد المهدي الحكاك — ١٥٧-١٧٦

اثر استراتيجية السقالات التعليمية في تحصيل مادة الجغرافية لدى طلاب الصف الاول المتوسط — م.د.مرتضى حميد شلاكه — ١٧٩-١٩٨

دراسة مقارنة في قلق المثالية والأجهاد النفسي التأكسدي لدى المصابين بالنحافة وغير المصابين — م . د . مواهب عبد الوهاب عبد الجبار — ١٩٩-٢٢٦

نص اجنبي مترجم

تأثير اعمال ابن سينا الفلسفية على الغرب بقلم سيمون فان ريت — ترجمة :أ.د.رحيم محمد الساعدي — ٢٢٩-٢٢٢

عنوان المراسلة
العراق-بغداد-الجامعة المستنصرية
كلية الاداب/قسم الفلسفة

ص.ب:١٤٠٢٢

تلفون:٤١٦٨١١٩٨

art.phi_magazine@
uomustansiriyah.edu.iq

المعرفة عند فرنسيس بيكون
دراسة من منظور مختلف

أ. د. صباح حمودي المعيني[1]

الملخص :

بحثنا هو المعرفة عند فرنسيس بيكون دراسة في منظور مختلف ، إذ وقع اختيارنا على هذا الموضوع لأننا أردنا أن نفك الإشكالية التي يقع فيها البعض من خلال طرح السؤال الآتي : لماذا لم يهتم بيكون (بالحقيقة) بشكل مباشر على الرغم من كونه فيلسوفاً تجريبياً – حسياً ؟! فالذي وجدناه عنده مختلف تماماً عن الفلاسفة التجريبين الحسيين الذين جاءوا من بعده وعلى رأسهم جون لوك، إذ وجدنا أن لوك كان أقرب الى الاتجاه العقلي وتوجه في المعرفة نحو (الحقيقة) ، أما بيكون فلم يهتم إلا بالسيطرة على الطبيعة وكانت هذه غايته، ولهذا جاءت عبارته الشهيرة (المعرفة قوة) من خلال فلسفته التي أظهر فيها تمرده على الفكر والفلسفة الأرسطية، لاسيما طريقته الاستقرائية في البحث العلمي مدعياً أن (أرجانون أرسطو) قد أصبح أداةً منهجية قديمة عفى عليها الزمن ، ولم يعد قادر على تمكين الانسان من (السيطرة على الطبيعة)، فضلا عن ذلك ابقى العلم راكداً ومعتمداً على الفكر النظري أكثر منه على الملاحظة الواقعية، لذلك فهو يعتقد أنه ينبغي دراسة الفلسفة والعلم الطبيعي دراسة استقرائية ، لكن على وفق رؤية مغايرة ، على اعتبار أن المعرفة بطبيعتها تراكمية ، وهذا السبيل كفيل بتحقيق ما تعجز عنه الفلسفات النظرية الجامدة، ولهذا فهو اعتمد استراتيجية علمية دقيقة تهدف الى منح الإنسان من الاكتفاء بالمعرفة ودفعه الى البحث عن معرفة جديدة ، وهذا لا يأتي إلا من خلال تغير المنهج القديم بآخر جديد بحيث تمكن الإنسان بـ (السيطرة على الطبيعة) وهذه غايته، ولهذا رأى أنه يجب على الإنسان اكتشاف النظام الطبيعي للأشياء لتوسيع معرفته وتدعيم قوته في العمل على اعتبار أن الطبيعة ليست تقليلاً للإنسان، بل هي قوة له .

الكلمات الافتتاحية (بيكون - معرفة - فلسفة)

Abstract:

Our research is knowledge according to Francis, which will be a study from a different perspective as we chose this topic because we wanted to decipher the problematic that some people may fall into by asking the following question: why did Bacon not directly care about (the truth) despite being an empirical-sensual philosopher? what we found with him is completely different from the sensual experimental philosophers who came after him, headed by John Locke, as we found that Locke was closer to the mental direction and directed in knowledge towards (the truth) and this is his goal, but Bacon was only concerned with Controlling nature and this is why it came His famous phrase (knowledge is power) stemming from his philosophy in which he demonstrated his rebellion against Aristotelian thought and philosophy Especially his inductive method in scientific research, claiming that (Argonne Aristotle) has

١ أستاذ نظرية المعرفة والفكر العربي المعاصر/قسم الفلسفة - كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

become an old methodological tool that has become obsolete and is no longer able to enable man to (control nature), in addition to keeping Science stagnant and relying on theoretical thought more than on realistic observation, Therefore, he believes that philosophy and natural science should be studied inductive, but according to a different view, considering that knowledge by its nature is, cumulative, and this path is sufficient to achieve what rigid theoretical philosophies fail to do. Therefore, he relied on a precise scientific strategy aimed at granting man sufficiency in knowledge and pushing him to Search for new knowledge, and this does not come except through changing the old method with new one so that it enables man to control nature and this is his goal, and from here he saw that man should discover the natural system for things to expand his knowledge and consolidate his pour at work, Considering that nature is man, but rather his strength.

المقدمة :

في هـذا البحـث درسـنا المعرفـة عنـد فرنسـيس بيكـون (ت1626م)، لكـن قبـل أن نـدرس المعرفـة عنـده لابـد أن نطـرح سـؤالاً مهـماً وهـو : لمـاذا اعتـبر جـون لـوك (ت1704م) زعيـماً للاتجـاه التجريبـي – الحـسي في الفلسـفة الحديثـة ولم يتـم التوجـه الى فرنسـيس بيكـون؟ عـلى الرغـم مـن كونـه فيلسـوفاً تجريبيـاً وحسـياً متطرفـاً، فضـلاً الى أنـه يُعـد مـن كبـار الفلاسـفة التجريبيـين في القرنـين السـابع عـشر والثامـن عـشر وسـابق عـلى لـوك بقـرن مـن الزمـان ؟ !! هـذا السـؤال والاجابـه عليـه هـو الـذي شـجعني بـأن أكتـب عـن هـذه الشـخصية وأدرسـها وأحلـل نصوصهـا وفـق رؤيـة ومنظـور مختلـف عـن بعـض الباحثـين الذيـن كتبـوا عنـه. وللإجابـة عـن هـذا السـؤال أقـول أن لـوك كان أقـرب الى المنهـج العقـلي وتوجـه في المعرفـة نحـو (الحقيقـة) وهـذه غايتـه . وليـس هـو فحسـب، بـل هـذا ديـدن أكـثر الفلاسـفة المحدثـين بخاصـة ، بـدءاً مـن فلاسـفة الاتجـاه العقـلي وزعيمهـم ديـكارت (ت1650م)، ثـم الاتجـاه التجريبـي الحـسي وزعيمـه لـوك (ت1704م) كـما أسـلفنا مـروراً بالاتجـاه النقـدي – التوفيقـي وزعيمـة كانـط (ت1804م) الـخ...، غايتهـم جميعـاً هـي الوصـول الى (الحقيقـة) ، كلاً حسـب وجهـة نظـره(1)، حـول هـذه الاتجاهـات وشـخصياتها وكيـف توصلـوا في المعرفـة الى الحقيقـة (يراجـع كتابينـا : نظريـة المعرفـة في الفكـر الفلسـفي العـربي المعـاصر (مـصر والعـراق) ، بيـت الحكمـة ، ط1 ، بغـداد 2009 ، الفصـل الأول منـه ، ولمزيـد مـن التفاصيـل يراجـع أيضـاً : دراسـات في نظريـة المعرفـة مـن خـلال الـدرس الفلسـفي العراقـي المعـاصر – دراسـة تحليليـة ، دار الكتـب والوثائـق ، مكتبـة الصفـوة ، ط1 ، بغـداد 2017 ، الفصـل الأول منـه).

لكـن الـذي وجدنـاه عنـد بيكـون مختلـف تمامـاً فهـو لم يهتـم بالحقيقـة بقـدر مـا اهتـم بالسـيطرة عـلى (الطبيعـة) وهـذه غايتـه، ولهـذا جـاءت عبارتـه الشـهيرة (المعرفـة قـوة) ، وسـوف نفصـل ذلـك في ثنايـا البحث. وحتـى نتعـرف أكـثر عـن هـذه الشـخصية أقـول هـو أحـد وأبـرز فلاسـفة المنهـج التجريبـي في القـرن السـابع عـشر، عـاش في عـصر حافـل بالتغـيرات ولاسـيما في المجالـين العلمـي والفلسـفي، فأدعـى بأنـه مُسـلم بتعليـم الكنيسـة المسـيحية، لذلـك أراد فصـل العلـم عـن الديـن – أي الفصـل بـين المعرفـة والإيمـان والديـن ، ومـن ثـم بـين الكنيسـة والدولـة مـن أجـل تسـهيل وتسريـع الحصـول عـلى (المعرفـة) لتحسـين حيـاة النـاس، فأخـذ

يُلمح على الدور التغييري للعلم، لأن جمع المعرفة لابد أن يكون مصدرها التجربة الحسية من خلال فلسفته القائمة على الملاحظة والتجربة، فكانت في ذهنه أفكاراً تهدف الى إصلاح المعرفة الإنسانية وتطويرها تطوراً جذرياً، ونظراً لعلمه الكبير بـ (تقدم المعرفة) ، فقد طور الكثير من الأفكار ، وهذا ما بينه في كتابه (الأداة الجديدة) الذي أصدره عام 1620، الذي أصبح مفتاحاً للتجريبية عند الكثير من الفلاسفة الذين جاءوا من بعده أمثال هوبز ولوك وسبنسر.

إذ أظهر تمرده على الفكر والفلسفة الأرسطوطالية ، ولاسيما طريقته الاستقرائية في البحث العلمي، مدعياً أن (أرجانون أرسطو) قد أصبح أداةً منهجية قديمة عفى عليها الدهر، ولم يعد قادر على تمكين الإنسان من (السيطرة على الطبيعة) ، فضلاً الى أنه أبقى العلم راكداً بتوكيده على الفكر النظري أكثر منه على الملاحظة الواقعية، وهذا ما أثر لاحقاً على الكثير من الفلاسفة، لذلك فهو يعتقد أنه ينبغي دراسة الفلسفة والعلم الطبيعي دراسة استقرائية ، لكن على وفق رؤية مغايرة ، على اعتبار أن المعرفة بطبيعتها تراكمية، لأنها شملت الدراسة أكثر من مجرد الحفاظ على الماضي – هذه (المعرفة) تعد المخزون الغني لمجد الخالق، وهذا كفيل بتحقيق ما تعجز عنه الفلسفات النظرية الجامدة ، والنتيجة أخذ يعتمد على استراتيجية علمية دقيقة تهدف الى منح الإنسان من الاكتفاء بالمعرفة الجاهزة ، ودفعه الى البحث عن معرفة جديدة من خلال تغير المنهج القديم بأخر جديد تمكن الإنسان (بالسيطرة على الطبيعه) ، فضلاً الى أن التقدم بالبحث يجب إن يكون مهمة لا نهاية لها، ولهذا أخذ يكتفي ببعض الإشارات والتوصيات التي يتسنى له التخلي عنها عند التقدم في البحث، لأن الإنسان لا يمكنه أن يتوقع أنه يتقدم وهو بصدد تحقيق المزيد من الاكتشافات ما ستكون عليه المعرفة في المستقبل ، لذا كان الهدف الأساسي من فلسفته هو تحرير عملية الاكتشافات، وبما أنه رائد المنهج التجريبي في العلوم الطبيعية، رأى أنه يجب على الإنسان اكتشاف النظام الطبيعي للأشياء لتوسيع معرفته وتدعيم قوته في العمل، على اعتبار أن الطبيعة ليست تقليلاً للإنسان، بل هي قوة له، فضلاً عن أنها تعد الأم الكبرى لجميع العلوم ولا أمل في التقدم إلا أن ترجع إليها العلوم جمعاء.

وتأسيساً على ما تقدم يمكن القول أن بيكون اعتمد فيما بعد على المعرفة العلمية التي تستند الى الملاحظة والتفكير معاً، على اعتبار أن أدوات العقل ضرورية في البناء المعرفي، وهذا ما تطلب تأسيس العلم الجديد الذي من خلالهُ استطاع التحرر من الأوهام التي أخذت تضلل الذكاء البشري، فأخذ يؤكد على أن الإنسان لا يستطيع أن يبحث عن المعرفة العلمية من دون أن يحرر عقله اولاً من عقبات الأوثان، وهذا ما نحاول بيانه في ثنايا البحث من خلال المحاور الآتية : (المعرفة قوة ، الاستقراء دراسة في تاريخ المفهوم فلسفياً، موقفه من العقل)، فضلاً الى الخاتمة مع أهم الاستنتاجات.

المعرفة قوة :

يرى بيكون أن الإنسان بطبيعته وفطرته يسعى الى معرفة الطبيعة والسيادة عليها، ولهذا نجد أن الفلسفة عنده تتألف من ثلاثة مجالات رئيسة (معرفة الله، معرفة الطبيعة، الإنسان) ، وأن البحث عن الطبيعة وعلاقة الإنسان بها يتفرع الى نوعين : المعرفة النظرية والمعرفة العملية، إذ تشمل الأولى- معرفة أصل الأشياء والحركات والخواص والأنواع ، هذه المعرفة تحتم دراسة الرياضيات، على الرغم من أنه لم يدرك أهميتها في تكوين العلم الطبيعي، إما الثانية – فتشمل الميكانيكا وأسرارها بغية الحصول على معرفة سلسة، ومن دون ذلك يستحيل فهم الطبيعة، هذا يعني أن رسالته تدور حول موضوع مهم إلا وهو (علاقة الإنسان بالطبيعة) ، إذ تكمن وراء هذه الرسالة ثلاثة عوامل أساسية

بحيث يشكلا الأساس المعرفي لها، فالعامل الأول : هو (تجاهل أعمال كبار العلماء) في عصره، لأنه كان قليل الاهتمام بمكتشفات القرن الرابع عشر، على الرغم من أن هذه المكتشفات قد أدت الى شعور الإنسان بازدياد وتوسيع سلطانه على الأرض، إما العامل الثاني : الذي أثر عليه هو (الفلسفة اليونانية) وبعض فلاسفتها وبخاصة أرسطو (ت322 ق.م) ، من خلال منطقة ونظريته في الاستقراء، على اعتبار أن هذا الاستقراء الأسلوب الغالب عليه هو الاستنباط والمثل الأعلى فيه هو القياس، هذا القياس كمنهج للبحث لايفيدنا في معرفة شيء جديد كما يرى بيكون، لأن القياس يسلم بصحة مقدماته تسليماً لا يجوز الشك فيها، ومهما استنتج الإنسان من نتائج فهو لا يصل الى شيء جديد ، لأن ما وصل إليه من نتائج كانت موجودة من قبل في المقدمات، إذن فالقياس ليس وسيلة لكشف الحقائق ولا يصلح أساساً لمعرفة العالم الخارجي ، ولهذا قصر بيكون هذه النظرية الأرسطوطالية ، ويرجع ذلك الى أنها تعتمد على الأمثلة الإيجابية فحسب، بينما يكفي مثال مناقض الى هدم النتيجة المستخلصة كلها(2)، (د. حبيب الشاروني : فلسفة فرنسيس بيكون، دار الثقافة، المغرب 1981، ص27. وأيضاً: رونالد ستورمبرج، الفكر الأوربي الحديث من (1601 – 1977)، ترجمة أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، ط3، القاهرة 1994، ص68) ، هذا يعني أن بيكون في منطقة الجديد (الأرجانون) لا يبدأ من فراغ ، وإنما يبدأ من منطق أرسطو لكي يُرد عليه، لكن هذا لا يعني أيضاً أنه لا يقف عند مستوى رد الفعل، فهو في مواضع معينة ينصف بعض الفلاسفة اليونان وبخاصة أفلاطون (ت347 ق.م) من خلال استخدامه الأمثلة السالبة في الاستقراء لتمحيص التعريفات والمثل(3)، (كامل محمد عويضة : فرنسيس بيكون فيلسوف المنهج التجريبي الحديث، دار الكتب العلمية، القاهرة 1993، ص73) ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر وجدنا أن بيكون يُمهد الطريق أمام الإنسان لكي يستطيع من خلاله الكشف عن ظواهر الطبيعة والسيطرة عليها، أي أنه يريد استبدال منهج البرهان القياسي بمنهج الكشف الاستقرائي، وإذا إردنا الوصول الى الهدف المنشود فلابد من مراعاة شرطين أساسيين : الأول – ذاتي ، ويتمثل هذا في تطهير العقل من كل الأحكام السابقة والأوهام والأخطاء التي أنحدرت إليه من الأجيال السابقة، والثاني – موضوعي ، يتمثل في رد العلوم الى الخبرة والتجربة، وهذا يتطلب معرفة المنهج القديم ، هذا المنهج ليس هدفاً في حدَّ ذاته، بل هو وسيلة للوصول الى موضوع المعرفة الصحيحة(4)، (د. حبيب الشاروني : فلسفة فرنسيس بيكون، ص75)، هذا يعني أن بيكون عرض نظاماً وأسلوباً جديداً (للفكر) ، علماً أن هذه الدراسة الاستقرائية للطبيعة ذاتها لا تكون إلا عن طريق الخبرة والتجربة، ولهذا يقول « يستطيع الإنسان وهو خادم الطبيعة ومفسرها أن يعمل ويتهم فقط بقدر ما لا خطة في الواقع أو في التفكير على مسار الطبيعة، إما خارج حدود ذلك فهو لا يعرف شيئاً ولا يستيطع أن يفعل شيئاً»(5)، (فرنسيس بيكون : الأرجانون الجديد – أرشادات صادقة في تفسير الطبيعة، ترجمة عادل مطصفى، مؤسسة هنداوي، القاهرة 2018، ص20 وما بعدها ويقارن : د. حبيب الشاروني، فلسفة فرنسيس بيكون، ص76)، فالإنسان أذن بوصفه خادم الطبيعة ومفسرها يمكن أن يعمل ويفهم الكثير من مجرى الطبيعة ما دام قد لاحظ الطبيعة واقعياً أو بفكره، إما ما وراء هذا فهو لا يستطيع أن يدرك أو يعمل شيئاً، لأن المعرفة الإنسانية والقدرة البشرية تلتقيان في الإنسان الواحد، وحيثما لا يعرف هذا الإنسان مجرى الطبيعة ، فلا يمكن أنتاج الأثر المطلوب، ولكي تسيطر الطبيعة ينبغي أن تمتثل لها، وهذا ما جعل ديكارت بعد سبعة عشر عاماً أن يقترح (بحث عن المنهج) بأن يبدأ بالشك في كل شيء، هنا بيكون إراد تنقية الفكر كخطوة أولى في التحديد ، لأن المعرفة الإنسانية كما نعهدها في أنفسنا ما هي إلا خليط لم يتيسر هضمها،

مكونة من السذاجة وسرعة التصديق وكثير من المصادفات والأعراض غير الجوهرية، ولهذا يجدر بنا منذ البداية أن نصفي أذهاننا من أي انشغالات سابقة وتحيزات وافتراضات، وليس هذا فحسب، بل علينا أن ننصرف عن أفلاطون وأرسطو ونرفع من أفكارنا كل الأصنام أو الأوهام الخالدة التي ولدها فينا فرط الحساسية في الحكم على الأشياء والمعتقدات والتعاليم والتقاليد السائدة في مجتمعنا(6)، (د. كامل محمد عويضة فرنسيس بيكون فيلسوف المنهج التخريبي، ص74)، في حين نجد أن العامل الثالث : والمتمثل (بالمزاج الديني) الذي نشأ فيه بيكون من خلال استقلال الكنيسة الإنكليزية عن كنيسة روما المتعصبة ، وهذا كان له الأثر الكبير والأهم في دعوته الى الفصل بين مجال الدين عن مجال العلم، فضلاً عن ذلك ثورته على السلطة العقلية بجميع أشكالها(7)، (د. قيس هادي أحمد : نظرية العلم عند فرنسيس بيكون، دار الشؤون الثقافية ، ط2، بغداد 1986، ص47)، ومع تلاشي سلطة الكنيسة واعتقاد الإنكليز أن الدين يقوم على الفحص الحرّ للكتاب المقدس كما زعمت (البروتستانتية) ، لذلك فمن خلال قراءته للكتاب المقدس اتجه بيكون وغيره من الإنكليز الى النظر فيّ خبراتهم الخاصة في ضوء ما جاء في (سفر التكوين) ، إذ أوحت هذه القراءة له الفكرة، هي فكرة استعادة الإنسان لسيادته على الطبيعة(8)، (د. حبيب الشاروني، فلسفة فرنسيس بيكون، ص21)، هذا يعني أن الحركة التي عمل بها هي حركة دينية وكما يقول كارل بوبر (ت1994م) : « لقد أحل بيكون أسم (الطبيعة) محل أسم (الرب) « (9)، (كارل بوبر : أسطور الأطار في الدفاع عن العلم والعقلانية ، ترجمة يمنى طريف الخولي، سلسلة عالم المعرفة ، دار مطابع السياسة ، الكويت 2003، ص27؛ ويقارن : يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر منهج العلم ، دار الهيئة المصرية للكتاب ، مصر 1989، ص60).

نستنتج من هذا أن بيكون قد أخذ على (أفلاطون وأرسطو) مآخذاً من خلال دعوتهما للعلم النظري الخالص واحتقارهما للتجربة ، وهذا ما جاء بكتابيه (الأرجانون الجديد) و (في تقدم العلوم) ، إذ كان هجومه ونقده العنيف لهما جاء كرد فعل بسبب المغالاة التي انتهى بها فلاسفة العصور الوسطى ، وهي أن الحقيقة تطلب لذاتها، لا لما يترتب عليها من اعتبارات عملية ، حتى أن بعض الاستقرائين لم يسلم من نقدهُ على الرغم من أنه دعا الى منهج استقرائي في البحث، لكنه منهج مغاير، وهذا دليل على أن اتجاه بيكون كان نحو (المعرفة والعلم) ، علماً أن هدف الأخير هو معرفة الظواهر الطبيعية للسيطرة عليها واستغلالها لصالح الإنسان، والتجربة هي الطريق الوحيد الذي يمكننا من تحقيق هذا الهدف، لأنه يرى أن هذا العلم لا يتقدم إذا اعتمد على النظر العقلي(10)، (توفيق الطويل : أسس الفلسفة ، دار النهضة العربية ، ط7 ، القاهرة 1976، ص102 – 103).

وهذا ما يؤكده بوبر فيما بعد إذ يقول : « إن التفرقة أو التمييز الذي وضعه بيكون بين العلم الطبيعي الجديد من ناحية واللاهوت والفلسفة من ناحية آخرى، قدّ بات المعتقد اليقيني القاطع لعقيدة العلم الجديدة «(11)، (كارل بوبر : أسطورة الإطار، ص110)، ووفقاً لبيكون كما يرى بوبر فإن طبيعة أو ماهية منهج العلم الجديد للطبيعة هو أن هذا المنهج الذي يميزه ويفرق بينه وبين اللاهوت القديم والفلسفة والميتافيزيقا يمكن شرحه بالآتي : أن الإنسان عجول تستهويه النتائج السريعة بحيث يقفز الى الاستنتاجات، وهذا هو المنهج التأملي والذي يسميه بيكون بمنهج الاستباقات، فهو منهج زائف، لأنه يؤدي الى الانحياز، ولكن نصل الى الطريق الحقيقي (للمعرفة والقوة) كما يدعي بيكون يجب أن ننقي عقولنا من كل الانحيازات والأفكار المسبقة والنظريات، ومن كل تلك الخرافات أو الأوثان التي يمكن أن تكون قد انتقلت إلينا بفعل الفلسفة أو التعليم أو التقاليد، وعندما نتخلص من

تلك الأوثان أو الأوهام يمكن أن نقارب الطبيعة ، هذه الطبيعة لا تظللنا إذا كانت عقولنا خالصة(12)، (كارل بوبر : اسطورة الاطار، ص111 ، ويقارن : فرنسيس بيكون ، الارجانون الجديد ، ص25) .

علماً أن بوبر هنا يختلف كثيراً عن بيكون حول هذه الأشكالية (المعرفة قوة) ، بل ينقده فيها، وليس هذا فحسب، بل يمتد نقده حتى على الاستقراء ، ... ، إذ يرى بوبر أن فكرة المعرفة قوة تعدّ من الأفكار الخطرة ، لأنها تمثل سيادة الإنسان على الطبيعة، حتى أصبحت أكثر الأفكار تأثيراً والتي من خلالها غيرت عقيدة العلم الجديد، ولهذا أعدّ المعرفة شيء أفضل بكثير من القوة، لأن هذه القوة تميل دائماً الى الإفساد، والقوة المطلقة هي مفسدة مطلقة(13)، (كارل بوبر : أسطورة الإطار، ص113 و225) ، علماً أنه لا يرفض فكرة القوة رفضاً مطلقاً، بل يمكن أن تكون فكرة محايدة ولهذا يقول « ربما كانت فكرة السيادة على الطبيعة في حدّ ذاتها فكرة محايدة، وحين يكون الأمر مدّ يد العون لأخواننا البشر حين يكون التقدم الطبي والكفاح ضد الجوع والبؤس، فإني بطبيعة الحال أرحب بالقوة التي ندين بها لمعارفنا عن الطبيعة، ولكني أخشى أن فكرة السيادة على الطبيعة تتضمن في الأغلب عنصراً آخر – أنه أراده القوة في حد ذاتها، إرادة الهيمنة، ولا استطيع أن أتغاطى مع فكرة الهيمنة، أنها هرطقة ودنس واستكبار على الأرض»(14)، (كارل بوبر : أسطورة الإطار، ص226)، ويرى بوبر هنا أن فكرة المعرفة قوة قد أدت الى رفض بيكون أي شكل من أشكال التنظير ، فضلاً الى تمسكه بأن الملاحظة أو الاستقراء ما هما إلا منهج يوصلنا الى فكرة السيطرة، وهذا المنهج قد أطلق عليه بـ (مذهب الملاحظة) الذي يمثل عداء لكل أشكال التفكير النظري، إذن بوبر يرى أن بيكون لم يفهم مغزى الأفكار الرياضية بالنسبة الى العلم(15)، (كارل بوبر: أسطورة الإطار ، ص113، وللتفصيلات يراجع : فرنسيس بيكون ، الارجانون الجديد ، ص 26).

هذا يعني أن مضمون رسالة بيكون هي بمثابة دعوة للناس بعامة والعلماء بخاصة الى أن يتجهوا الى السعي نحو معرفة مكانة الإنسان من الطبيعة، هذا السعي هو إدراك الناس بأن التفكير الفلسفي يجب أن لا ينبغي أن يتجه الى ما فوق الطبيعة ، وليس أن يتخذ الجدل والنقاش أداةً له فحسب، بل عليه أن يتجه نحو الأرض وظواهر الطبيعة ايضاً ، وأن يتخذ التجريب وأساليبه المختلفة أداةً له، أذن فالمعرفة هنا هي السيطرة والسيادة على الطبيعة وأخضاعها لأغراض الإنسان ومنافعه.

لذلك نجد أن فلسفة الطبيعة عند بيكون تنقسم الى قسمين – الأول : الفيزيقا* أو (علم العلل الفاعلية والمادية) ، والثاني : الميتافيزيقا أو (علم العلل الصورية والغائية) ، وجدنا هنا أن بيكون متأثراً بأرسطو، إذ يأخذ منه القول بالعلل الأربع، فأرسطو يرى أن الفيزيقا تعني بالعلل جميعاً من حيث أنها ترمي لتفسير الأجسام وتغيراتها على اعتبار أن (المادة) هي الموضوع الذي يتم فيه التغير و(الصورة) هي ما تعين الموضوع بعد اللاتعين و (الفاعل) هو ما تصدر عنه بداية الحركة والسكون وأخيراً (الغاية) وهي ما تقصد إليه الحركة، هنا نجد أن العلتين (الفاعلية والغائية) عند أرسطو ترجعان الى الصورة من حيث أن الفاعل يفعل بحسب صورته ويحرك الشيء على حساب صورة الشيء، أما عند بيكون فهو يضع هذه العلل الأربع في تقسيم جديد على الرغم من قبوله لها، ولهذا فهو يقصر العلتين (الفاعلة والمادية) على مجال الفيزيقا (16)، (د. حبيب الشاروني : فلسفة فرنسيس بيكون، ص77؛ ويقارن : كريم متي، الفلسفة اليونانية، دار مطبعة الإرشاد، بغداد 1971، ص184 وما بعدها)، هذا يعني أن بيكون يقوم بالكشف عن علل حدوث الأشياء وتغيرها، وفي نفس الوقت يقوم بالكشف عن المادة نفسها بغية الكشف عن مبدأ الأجسام، علماً أن المبادئ عنده نوعان : الأول – يتعلق بالجسم من حيث

هـو حاصـل أو مجمـوع مـن الطبائـع البسـيطة، والثـاني – يتعلـق بالكشـف عـن العمليـات الكامنـة للأجسـام المحسوسـة، وهنـا نجـد أن الكشـف عـن العمليـة الكامنـة لا يقتـصر عـلى تكـون الأجسـام فحسـب، بـل يشـمل تغـيرات أخـرى للطبيعـة(17)، (ينظـر : فرنسـيس بيكـون ، الإرجانـون الجديـد ، ص51)، إذن في مجـال الفيزيقـا نجـد أن البحـث عنـد بيكـون يمتـد الى موضوعـات أخـرى لا تتيـح للإنسـان وسـائل التدخـل بالعمـل، بمعنـى أن العمـل يقتـصر عـلى مجـرد اكتسـاب المعرفـة بهـا كـما هـو الأمـر في علـم الفلـك، إذ يلـزم البحـث عـن الحقائـق ومعرفـة العلـل المتصلـة بالمبـادئ الأوليـة الكليـة الخاصـة بالطبائـع البسـيطة مثـل (طبيعـة الـدوران التلقـائي أو الجـذب أو القـوة المغناطيسـية) ، معرفـة هـذه الطبائـع قبـل البحـث فيـما إذا كان تعاقـب الليـل والنهـار مثـلاً يعـود الى حركـة السـماء أم الأرض(18) ؟ (فرنسـيس بيكـون : الأرجانـون الجديـد ، ص52 ، ويقـارن : د. قيـس هـادي أحمـد ، نظريـة العلـم عنـد فرنسـيس بيكـون ، ص48).

هـذا يعنـي أن في مجـال الفيزيقـا لا يقتـصر البحـث بالكشـف عـن العمليـات الكامنـة فحسـب ، بـل يتنـاول التكويـن الكامـن للأجسـام.

إمـا فيـما يخـص الميتافيزيقـا، فهـي كـما بينـا هـي علـم العلـل (الصوريـة والغائيـة) ، فالعّلـل الصوريـة هـي أن معرفتهـا ليـس غايـة في ذاتهـا ، ولكنهـا وسـيلة يقررهـا بيكـون في بدايـة الجـزء الثـاني مـن الأرجانـون، وهـي توليـد طبيعـة أو عـدة طبائـع جديـدة في الجسـم، فضـلاً الى أنهـا عبـارة عـن مجموعـة خصائـص مثـل (الكشـف والحـار والبـارد والثقيـل والخفيـف ... الـخ) ، علـماً أن هـذه الأزواج مـن الخصائـص قـد وضعهـا أرسـطو قبلـه، وهـذا مـا وجدنـاه في المقالـة الرابعـة عنـدهُ، وهنـا نجـد أن بيكـون يمـضي مـع أرسـطو في الاعتقـاد، بـأن أي مـن هـذه الطبائـع ليـس إلا المظهـر المترتـب عـلى ماهيـة معينـة، وهـذا مـا يسـمى (بالصورة) ، إذ نجـد أن الاختـلاف عـن الصـورة وعـن الماهيـة بالمعنـى الأرسـطي، هـو أن أرسـطو يحـدُّد الماهيـة مـن خـلال ذكـر الجنـس والفصـل، فهـو يبغـي مـن ذلـك معرفـة صـورة الموجـود – أي ماهيتـه، لأن الصـورة عنـدهُ هـي مـا يعطـي المـادة الوجـود بالفعـل، إمـا عنـد بيكـون فوجدنـاه قـد اسـتخدم مجموعـة مـن التعبـيرات المتعادلـة ليـدل بهـا عـلى الصـورة باعتبارهـا الفصـل النوعـي والحقيقـي كونهـا الـشيء في ذاتـه، وهـي الطبيعـة الطابعـة ومصـدر الانبثـاق والقانـون، فهـو يعنـي بهـا جميعـاً، لا صـورة الموجـود وماهيتـه، وأنمـا صـورة الطبيعـة أو السـمة التـي يتصـف بهـا موجـود مـا، ولهـذا ليـس أمـام بيكـون جـدوى مـن البحـث عـن صـورة الموجـود(19)، (كريـم متـي : الفلسـفة اليونانيـة ، ص185 وينظـر : د. حبيـب الشـاروني : فلسـفة فرنسـيس بيكـون ، ص77 ، ويقـارن : ارسـطو ، مـا بعـد الطبيعـة ، ترجمـة جـمال حسـنين ابـو طـوق ، دار البراق ، ط1 ، مـصر 2009 ، **(المقالـة الرابعـة).**

هـذا يعنـي أن بيكـون يحـاول أن يحتفـظ بلفـظ الصـورة الموجـودة عنـد أرسـطو، لكنـه يعـدل مـن الصـورة الموجـودة الى صـورة الكيفيـة، لكـن أرسـطو كان يريـد أن يحـدد الجنـس ليعـرف ماهيـة الموجـود، وهـذا ليـس مـا هـو موجـود عنـد بيكـون، لأن الفصـل النوعـي الحقيقـي عنـده هـو عـين الصـورة والقانـون الـذي بموجبـه تظهـر الكيفيـة أو الطبيعـة سـواء كان هـذا الظهـور قـد تـم بإطاعـة الطبيعـة لـه أم بتدخـل الإرادة البشريـة. ونتيجـة لذلـك فـأول مـا نلاحظـه هنـا هـو أن بيكـون أمتـاز بأتخـاذ موقفـاً وسـطياً بـين أرسـطو وأسـتاذه أفلاطـون عـلى اعتبـار أن الأخـير يجعـل العلـل الصوريـة في عـالم آخـر هـو عـالم المثـل، ويطلـق عليهـا هـذا المصطلـح بحيـث تنحـصر المعرفـة عنـده في جهـاد الإنسـان ليرتقـي مـن خـلال الجـدل الصاعـد حتـى يبلـغ هـذه المثـل دون أن يتجـاوز هـذه المعرفـة، هنـا بيكـون نلاحظـه يمتـدح أفلاطـون مـن خـلال جعلـه الصـورة هـي الموضـوع الحـق للمعرفـة، لكنـه يأخـذ عليـه مـن أن الصـورة تكـون خالصـة مـن المـادة، بحيـث ينتهـي

فيها الى علم الإلهيات، إما عند تلميذه أرسطو نجده يضع العلل الصورية في الواقع التجريبي، ولكنه يجعل الوصول إليها أمراً سهلاً ، وهو الاكتفاء بمعرفة الجدل وقواعد المنطق، لكن عند بيكون نجد أن إدراك العلل الصورية يستغرق شوطاً طويلاً يبدأ كما أسلفنا بالتاريخ الطبيعي ثم الفيزيقا حتى يبلغ تلك العلل الصورية(20)، (كريم متي : الفلسفة اليونانية، ص190؛ ويقارن : كامل محمد عويضة ، فرنسيس بيكون ...، ص85)، إما العلل الغائية باعتبارها الموضوع الثاني للميتافيزيقا نجد أن بيكون يرى أنها قد جاءت من قبل الفلاسفة السابقين في غير موضعّها الصحيح، فهي قد أختلطت عند أرسطو وعند جالينوس (ت 200م) بالعلل الفيزيقية ، على اعتبار أن هذه العلل قد غاب مجالها الميتافيزيقي، وعلى هذا تكون فلسفة ديمقريطس (ت120 ق.م) بحسب رأيه قد عرفت الطريق الى التميز بين العلل الفيزيقية والعلل الغائية(21)، (كريم متي : الفلسفة اليونانية، ص191؛ وأيضاً : د. حبيب الشاروني، فلسفة فرنسيس بيكون، ص78)، هنا بيكون قد أعجب به كثيراً، ولهذا نجده يضع فلسفته فوق فلسفة (أفلاطون وأرسطو) ، على اعتبار أن مذهبه الذري كان له العون الكبير في تأسيس فلسفتهُ(22) ، (د. قيس هادي أحمد : نظرية العلم عند فرنسيس بيكون، ص49)، هذا يعني بحسب رأي بيكون أن ديمقريطس لم يجعل للذرة حركة لا متجانسة مثل الجسم اللامتجانس والقوة اللامتجانسة ، وأنما أختار من بين حركات الأجسام الأكبر حركة (الهبوط الى الأسفل) بموجب نظام الجاذبية وحركة (الانتشار نحو المحيط) بموجب الدفع ، واعتبرهما حركتين أوليتين للذرة ، وهذا ما دعى إليه بيكون من خلال تأكيده لهذا المبدأ بحيث أنتهت نظرية الذرة عنده من خلال الفروض التي أضفت على المادة الخام خصائص وكيفيات الأجسام المكونة منها(23)، (ينظر : فرنسيس بيكون ، الأرجانون الجديد ، ص91)، هنا نجد أن بيكون قد وقف عند مبدأ اللامتجانس بين الذرة وأي جسم محسوس، ومن ناحية أخرى رفض أن تكون المادة الأولى شيئاً مجرداً خالياً من الشكل، على اعتبار ليس هناك مادة بغير صورة، فهو هنا يشير الى نظرية أرسطو حيث تكون المادة الأولى – أي الهيولى موضوعاً غير معين في نفسه، فلا يمكن تصورها كشيء موجود بالفعل ومن شأنها أن تتلقى الوجود من الصورة، بيكون هنا يرفض هذه النظرية، لأنه يرى أن ما يوجد أولياً ليس وجودهُ أقل ضرورة مما يستمد منه وجوده، أذن لابد أن تكون المادة الأولى متحدة بالصورة الأولى وبالمبدأ الأول للحركة(24)، (ينظر : أرسطو، السماع الطبيعي ،ترجمة عبد القادر قينيني ، دار افريقيا الشرق ، ط1 ، القاهرة 1998، (المقالة الأولى) ، ص74؛ ويقارن : فرنسيس بيكون ، الأرجانون الجديد ...، ص93) ، هذا يعني أن بيكون ينحرف عن نظرية أرسطو : فليست الصورة والهيولى منفصلين عن الحقيقة، ولا يكون أي منهما مفارقاً للآخر، وليس هذا فحسب، بل حتى عند مقارنة القوة والفعل من حيث التقدم والتأخر، ولكن نجد أرسطو يقرر أن الفعل متقدم بالطبع على القوة، لأنه يدخل حدها(25)، (د. حبيب الشاروني، فلسفة فرنسيس بيكون، ص80 **؛ يقارن : أرسطو، السماع الطبيعي ، (المقالة التاسعة).**

إذاً نستنتج من ذلك أنه عند بيكون ليس هناك تناقضاً بين العلل (الفيزيقية والعلل الغائية) بحيث تكذب أحدهما الأخرى، وإنما وجدنا هناك تناسقاً وتساوقاً بين النوعين من هذه العلل – أحدهما : يعلن عن القصد، والثاني : عن النتيجة، وتأسيساً لهذا أخذ يضيف بيكون الى الميتافيزيقا قسماً ثالثاً وهي (الرياضيات) على اعتبار ان موضوعها هو الكم، كونه أحد الصور الجوهرية للأشياء التي من شأنها أن تؤدي الى التغيير في طبيعة عدد من النتائج(26)، (د. حبيب الشاروني : فلسفة فرنسيس بيكون، ص113).

الاستقراء* دراسة في تاريخ المفهوم فلسفياً :

بيكون في كتابة (الأرجانون الجديد) وضع أشياء ليرد بها على أرجانون أرسطو، فاستبدل نموذج (التفكير القياسي الصوري) بنموذج جديد قوامه (الملاحظة والتجربة) ، إذ يتألف المنهج الاستقرائي الجديد من جانبين : (جانب سلبي – نقدي) ، و (جانب إيجابي – بنائي).

وسوف نفصل القول في هذين الجانبين، إذ كان الغرض من الجانب الأول (السلبي) هو تطهير العقل من كل مما يحتويه من أخطاء وما ينطوي عليه من عوائق ، بحيث تحول من دون الكشف عن الحقيقة، هنا حصر بيكون عناصر هذا الجانب بأوهام ، وهذه الاوهام من وجهة نظره هي تطهير العقل من أوهامه ، لان العقل ما هو إلا أداة مماثلة وتجريد وتضييق لمعطيات الحواس ، وسوف نفصل ذلك في المحور اللاحق ، هذا من جانب ، ومن جانب اخر نجد ان العقل ما دام هشاً ويقبل كل شيء فيجب تنظيفه من هذه الأوهام والتي يقسمها الى أربعة أوهام وهي :

أوهام* الجنس : وهي تعبير عن الأخطاء التي يقع فيها الإنسان من خلال ميله الى التسرع في أصدار أحكام لا تبررها مقدمات ، فضلاً الى ونزوعة الطبيعي الى التسليم بأفكار لمجرد أنها تصادف في نفسه هوى أو تشيع عنده نزوه أو تسد في حياته حاجة أو تحقق له مصلحة ، وكثيراً ما يتخير الإنسان شواهد أخرى تتنافى معها، هنا يسوق بيكون أيضاحاً لوجهة نظره وهي قصة رجل كان يستخف بأثر النذور في تحقيق مطالب الناس فأخذوه الى المعبد وأطلعوه على كثير من اللوحات علقها أصحابها على جدران المعبد اعترافاً منهم بنجاتهم من الغرق استجابة لما نذروا من نذور، وقيل له ألا تعرف بعد هذا أن النذور كفيلة بتحقيق المطالب ؟ ، ولكنه قال في حكم وتهكم : لكن أين يا ترى أجد لوحات الذين نذروا النذور التماساً للنجاة من الغرق ، ومع هذا ابتلع البحر جثثهم دون اكتراث لنذورهم ؟! هذا يعني أن هذه القضية في طبيعة الجنس البشري كثيراً ما تنتهي بالاعتقاد بالخرافات والتسليم بصحة الأوهام، فإذا صدقت مرة أو مرات نبوءة عراف ما بادر الإنسان بتصديقه بعد ذلك متغافلاً عن المرات التي يثبت فيها كذب وتجل هذا العَّرافّ(27)، (فرنسيس بيكون : الأرجانون الجديد، ص28 و29، ويقارن : د. حبيب الشاروني ، فلسفة فرنسيس بيكون، ص102. وايضا : رونالد سرومبرج، تاريخ الفكر الأوربي الحديث، ص69).

أوهام الكهف : تحدثنا في أولاً عن أوهام الجنس والتي تعبر عن نقيصه في طبيعة الجنس البشري بوجه عام، أما أوهام الكهف فتعبر عن الأخطاء التي يقع فيها الإنسان مشوقاً بشخصيته الفردية التي تتظافر على تكوينها تربيته وثقافته ومهنته وغيرها من العوامل التي لا يتحتم أن يشارك فيها كل إنسان، ونتيجة لهذا اختلفت نظرة الناس الى الحياة وتباينت وجوه الرأي عندهم ، وكثيراً ما تنتهي ميول الفرد الخاصة به الى أيقاعه في أخطاء جسيمة فيعمى عن الحقائق التي تتنافى مع أهوائه ونزواته بحيث يفهم الأمور على غير وجهها لمجرد أن حقيقتها تتنافى مع رغباته، فمن الناس ما نجد المتفائل المقبل على الحياة، والمتشائم النافر من الدنيا ومن فيها، ومنهم كريم النفس، ومنهم المتعصب الحاقد، وهنا لا يمكن أن تبدو الأمور في نظر الجميع على وجه واحد، لذلك وجب الحذر من الانسياق مع الأهواء الذاتية والميول الشخصية اتقاءً للأخطاء وتفادياً للزلل(28). (فرنسيس بيكون، الأرجانون الجديد ، ص41 ويقارن : د. حبيب الشاروني ، فلسفة فرنسيس بيكون، ص103، وينظر : كامل محمد عويضة، فرنسيس بيكون ....، ص91).

أوهام السوق : هذه الأوهام تعبّر عن الأخطاء التي تنشأ عن غموض اللغة باعتبارها أداةً للتفاهم

والتعبير عن الأفكار، والمعروف هنا أن نشأة الألفاظ في أي مجتمع ترجع الى حاجاته العملية وتصوراته العلمية، ولكن سرعان ما تتحكم هذه الألفاظ في تصور الناس للأشياء، ومثال على ذلك نجد أن السوفسطائية كم أفادوا قديماً من غموض الألفاظ واستغلوا اشتراكها في هدم حقائق العلم ومبادئ الأخلاق (29) ، (كامل محمد عويضة : فرنسيس بيكون ...، ص92؛ ويقارن : فرنسيس بيكون، الأرجانون، ص42، وايضاً كتابنا : دراسات في نظرية المعرفة ...، ص7) ، الامر الذي شجع ودفع سقراط الى الظهور للدفاع عن العلم وموضوعيته بطريقته الجدلية التي كانت تستهدف وضع تعريفات عدة لكي يقوم العلم وتصبح المعرفة .

أوهام المسرح : هذه الأوهام تعبر عن الأخطاء التي يقع فيها الإنسان عن وعي بسبب تسليمه بآراء الفلاسفة والمفكرين الذين أثاروا إعجابه، فالمذاهب الفلسفية التي تلقاها عن السلف تشبه المسرحيات التي تشير الى عوامل من خلق مؤلفيها وليست من الواقع في شيء، وشر ما في الأمر إن الإنسان متى اعتقد في صحة رأي تلقاه عن غيره ، وتعذر عليه بعد هذا أن يتخلى عنه عندما يثبت له بطلانه ... ومثال على ذلك عندما أظهر أن أرسطو كان يرى أننا إذا ألقينا بجسمين مختلفين الثقل من مكان مرتفع ، بلغ الأثقل الأرض قبل الأخف ، حتى آمن العالم بعده بهذا، وبعد مدة من الزمن وجدنا أن جاليلو (ت1642م) أجرى تجربة يثت فيها بطلان هذا الرأي الذي قال به أرسطو ، وإلقى بجسمين مختلفي الوزن بعد أن أفرغ الهواء الذي يؤثر في سرعة سقوطهما، فسقط الجسمان في وقت واحد ! وأثبت بهذا أن اختلاف سرعة السقوط مردهُ الى مقاومة الهواء، وليس الى اختلاف ثقل الأجسام، ولكن شهود التجربة من العلماء أنكروا أمرها استناداً الى أن أرسطو قال غير ذلك، بل أنبوا جاليلو ، لأنه فكر في البحث في موضوع سبق وأن عالجه من قبل أرسطو وأبدى فيه رأياً، ونتيجة لذلك اضطر جاليلو الى ترك منصبه في جامعته، فضلاً الى اختراعه التلسكوب الذي يقرب البعيد (30) ، (فرنسيس بيكون : الارجانون الجديد ، ص 44 ، ويقارن : د. حبيب الشاروني ، فلسفة فرنسيس بيكون، ص104؛ وينظر : رونالد ستورمبرج، تاريخ الفكر الأروبي الحديث، ص70).

نستنتج من كل ما تقدم ، أن هذه الأوهام تؤدي بالناس بعامة والباحثين بخاصة من خلال دراساتهم العلمية الى الوقوع في الخطأ بحيث تحجب عنهم الحقائق وتجرهم الى مهاوي الزلل، ولهذا حذر بيكون من مغرياتها وأوجب تحرير العقل من سيطرتها من خلال الإشادة والصبر وعدم التعجل في أصدار حكم في موضوع ما قبل أن تتوفر لنا مبرراته، وبهذا يجب أن نتجنب مفاتن الضلال منذ البداية(31) ، (كامل محمد عويضة : فرنسيس بيكون – فيلسوف المنهج التجريبي، ص96).

أما غرض الجانب الثاني (الإيجابي) لهذا المنهج يكون من المنطق الجديد والحاجة الماسة إليه، لأن تصورات العلم قد تتغير، وفالعلم القديم كان يرمى الى ترتيب الموجودات في أنواع وأجناس، وهذا يعني أنه كان نظرياً بحتاً، فضلاً الى أنه يحاول أن يبين ما هية الموجود، وهذا يعني أيضاً أن مجهوده كان ضائعاً، أما العلم الجديد فيرمي الى أن يتبين في الظواهر المعقدة عناصرها البسيطة وقوانين تركيبها بغية أن يوجدها بالإرادة – أي أن يؤلف فنوناً عملية، فضلاً الى أنه يبحث عن صور الطبائع المدلول عليها بهذه الألفاظ مثل (كيف، حار، بارد، ثقيل، ...) وما أشبهها من حالات الموجود سواء أكانت تغيرات في المادة أم حركات، وهنا نلاحظ أن بيكون يحتفظ بلفظ الصورة الواردة عند أرسطو، ولكن بشرط وجود كيفية ما أو هو يعدل عن الصورة الجوهرية مقابل شرط وجود الصور العرضية ، وكان هذا شأن القدماء الكيميائيين، إذ كانوا يعتقدون إمكان تحول المعادن من خلال التأثير في كيفياتها، كان بيكون

بالفعل يأمل أن يتسع نطاق سلطانه عن الطبيعة من خلال استكشاف صور الكيفيات، بمعنى أنه نستطيع أن نولد كيفية أو أكثر في جسم ما فنحولهُ من الحرارة الى البرودة أو العكس أو نركب الكيفيات بعضها مع بعض(32)، (ينظر : د. قيس هادي أحمد، نظرية العلم عند فرنسيس بيكون، ص61) ، هذا يعني أن الملاحظة تعرض علينا (الكيفية) التي نبحث عن صورتها وتكون مختلطة بكيفيات أخرى، وتكون هنا مهمة الاستقراء استخلاصها من خلال استبعاد أو أسقاط كل ما عداها، وعندها نصّل الى العلم بالصور ، لأن بيكون لم يعد مبتكراً لهذا العلم الذي ينعته بالجديد ولا سبيل الى اكتشاف الصور سوى التجربة – أي التوجه الى الطبيعة نفسها، فلا يتسنى التحكم في الطبيعة واستخدامها في منافعنا إلا بالخضوع لها أولاً ويكون ذلك إذا أتبعنا الطرق الآتية :

أولاً : تنويع التجربة من خلال تغير المواد وكمياتها وخصائصها، فضلاً الى تغير العلل الفاعلية مثل تقطير الكحول الناتج من تقطير أول (تكرار التجربة).

ثانياً : إجراء تجربة على مثال تجربة أخرى مع تعديل في المواد (قد التجربة).

ثالثاً : من الطبيعة الى الفن كأيجاد قوس قزح في مسقط ماء (نقل التجربة).

رابعاً : من فن الى آخر أو من جزء فن الى جزء آخر مثل الفحص عما إذا كانت البرودة تنتشر من الأعلى الى الأسفل بعد (قلب التجربة) (33) ، (د. قيس هادي أحمد : نظرية العلم عند فرنسيس بيكون، ص63).

خامساً : أن نكون قد عرفنا أن الحرارة تنتشر من الأسفل الى الأعلى - أي طرد الكيفية المراد دراستها ، مثلاً (إلغاء التجربة).

سادساً : من المعروف أن المغناطيس يجذب الحديد من خلال أوساط معينة، لذا يجب أن ننوع هذه الأوساط الى أن تقع على وسط أو أوساط بحيث تلغي الجاذبية - أي استخدام التجارب لاستكشاف خاصية نافعة مثل تعيين(تطبيق التجربة).

سابعاً : أن نقاء الهواء وسلامته في أمكنة مختلفة أو فصول مختلفة يكون بتفاوت سرعة النفس - أي الزيادة في فاعلية مادة ما من خلال الجمع بينها وبين فاعلية مادة أخرى ، وهذا ما يسمى (بجمع التجارب).

ثامناً : مثل خفض درجة تجميد الماء بالجمع بين الثلج والنطرون (ملح البارود) ، أي أن تجرى التجربة لا لتحقيق فكرة معينة، بل لكونها لم تجر بعدّ، ثم ينظر في النتيجة ماذا تكون ؟، (صدق التجربة) (34) ، (د. قيس هادي أحمد : نظرية العلم عن فرنسيس بيكون، ص66).

وتأسيساً لما تقدم، بعد إجراء التجارب اعلاه يجب توزيعها في ثلاثة جداول إلا وهي : (جدول الحضور، جدول الغياب، جدول الدرجات)، ففي الجدول الأول (جدول الحضور) تسجل التجارب التي تبدو فيها الكيفية المطلوبة ، عندها تستبعد الظواهر التي لا توجد في تجارب هذا الجدول، أما في الجدول الثاني (جدول الغياب) فتسجل التجارب التي لا تبدو فيها الكيفية والتي تكون أشبه ما يمكن بتجارب جدول الحضور، عندها تستبعد الظواهر المماثلة في هذا الجدول، في حين نجد أن في الجدول الثالث وهو (جدول الدرجات) أو المقارنة - في هذا الجدول تسجل التجارب التي تتغير فيها الكيفية ، وهنا نستبعد الظواهر غير المتغيرة أيضاً فتكون الصورة المنشودة في الباقي(35)، (د. حبيب الشاروني : فلسفة فرنسيس بيكون ، ص141).

من خلال هذا الوصف للمنهج الاستقرائي ، وجدنا أن بيكون لم يفهم الاستقراء الفهم الحديث على

أنـه منهـج الكيفيـات، ولهـذا فهـو يفـترق أيضـاً عـن أفلاطـون مـن خـلال (صـور) ظاهـرة أخـرى وليـس هـذا فحسـب، بـل عـلى أنـه منهـج بـين أرسـطو والمدرسـين وأخـذ يقـف في مرحلـة انتقـال بـين الفلسـفة القديمـة والفلسـفة الجديـدة ، هـذا مـن جانـب ، ومـن جانـب آخـر وجدنـا أن هـدف المنهـج لديـه هـو أن يرشـدنا الى النقطـة التـي نسـتطيع أن نـدرك أو نحـدس عندهـا ماهيـة الـشيء وطبيعتـه الحقيقيـة، علـماً أنـه هنـا لم يسـتهدف بمنهجـه الاسـتقرائي الى كشـف القوانـين، وإنمـا جعـل منهجـه التجريبـي طريقـة لبيـان صـور الكيفيـات، إذ كانـت غايتـه مـن ذلـك هـو أن يكشـف عـن صـور الظواهـر ليعـرف الخـواص الذاتيـة للأشـياء وللسـيطرة عليهـا، هـذا يعنـي أن المنهـج الـذي ينـادي بـه بيكـون وكـما أسـلفنا أنـه يختلـف عـن المفهـوم الحديـث الـذي يعنـي الاسـتدلال عـلى القوانـين الكليـة مـن خـلال ملاحظـة الحـالات الجزئيـة، أذن طريقـة الاسـتقراء البيكونيـة مـا هـي إلا أن يتجـرد الإنسـان مـن عقائـده وآرائـه الخاصـة، حتـى يطـرق بـاب البحـث مسـتقلاً ويتلمـس الحكمـة أن وجدهـا ، ويتمثـل هـذا في الكشـف عـن المفهـوم العلمـي القويـم وتطبيقـه وأخضـاع كل قـول مهـما كان مصـدره (للملاحظـة والتجربـة) ، فالإنسـان هنـا لـن يسـتطيع أن يفهـم الطبيعـة ويتصـدى لتفسـير ظواهرهـا إلا بملاحظـة أحداثهـا بحواسـه وفكـره ، وفي هـذا السـياق نجـد رأي لبراتراند رسـل إذ بقـول " لمنهـج بيكـون الاسـتقرائي عيوبـه ، فهـو لم يؤكـد تأكيـداً كافيـاً عـلى الفـروض " (36) ، (برتراند رسـل : تاريـخ الفلسـفة الغربيـة، ترجمـة د. محمـد فتحـي الشـنيطي، الهيئـة المصريـة العامـة، القاهـرة 2011، ص77) ، حتـى أن كارل بوبـر (ت1994) ينقـد منهـج الاسـتقراء البيكـوني، لأنـه يـرى أن هـدف المنهـج عنـده هـو نفسـه عنـد سـقراط (ت399 ق.م)، فمـن خـلال منهـج التوليـد السـقراطي كـما قالهـا في محـاورة (ثياتيتـوس) ، نلاحـظ أن هـدف منهجـه هـو أن يسـاعدنا عـلى التذكـر كونـه قـوة رؤيـة الـشيء أو طبيعتـه الحقيقيـة، هـذا يعنـي أن الهـدف مـن ذلـك هـو الإدراك الحـدسي لماهيـات الأشـياء(37)، (د. يمنـى طريـف الخـولي، فلسـفة كارل بوبـر منهـج العلـم – منطـق العلـم ، دار الهيئـة المصريـة للكتـاب ، مـصر 1989، ص158؛ ويقـارن : كارل بوبـر، أسـطورة الإطـار، ص110).

وهنـا يـرى بوبـر إن التشـابه بـين المنهجـين يذهـب الى أكـثر مـن هـدف عـلى اعتبـار أن التوليـد السـقراطي يتكـون أساسـاً مـن مرحلتـين (مرحلـة التهكـم ومرحلـة التوليـد)، ففـي مرحلـة التهكـم تطـرح الأسـئلة التـي وضعـت كي تحطـم انحيـازات والاعتقـادات الخاطئـة، وهـدف سـقراط مـن ذلـك هـو تطهـير الـروح مـن الاعتقـادات الخاطئـة كالتقاليـد وغيرهـا، هـذه المرحلـة السـقراطية يناظرهـا الجانـب السـلبي لـدى بيكـون والمتمثلـة في أوهامـة الأربعـة وكيفيـة التخلـص منهـا كي نتمكـن مـن قـراءة كتـاب الطبيعـة قـراءة خالصـة، وهـذه الأخـيرة متمثلـة بالجانـب الإيجـابي لأوهامـة(38)، (د. يمنـى طريـف الخـولي : فلسـفة كارل بوبـر، ص158؛ وأيضـاً يراجـع : كريـم متـي، الفلسـفة اليونانيـة، ص180).

هـذا يعنـي بحسـب رأي بوبـر أن (الاسـتقراء البيكـوني) هـو نفسـه (التوليـد السـقراطي) وذلـك مـن خـلال أعـداد العقـل عـن طريـق تطهـيره مـن الانحيـازات ليتمكـن مـن معرفـة الحقيقـة البينـة ومّـن قـراءة كتـاب الطبيعـة، وليـس هـذا فحسـب، بـل وجدنـا إن بوبـر يذهـب الى أبعـد مـن ذلـك، إذ يـرى أنه مـن خـلال قراءتنا لكتـب تاريـخ الفلسـفة وجدنـا أن المؤرخـين يضعـون (منهـج بيكـون الاسـتقرائي) كمقابـل (لمنهـج ديـكارت العقـلاني) ، فضـلاً الى أنـه يـرى أن منهـج الشـك الديـكارتي في جوهـرة هـو صـورة أخـرى لمنهـج بيكـون(39)، (د. يمنـى طريـف الخـولي : فلسـفة بوبـر، ص158؛ ويقـارن : كريـم متـى، الفلسـفة اليونانيـة، ص180؛ ويراجـع : روايـة عبـد المنعـم عبـاس، ديـكارت أبـو الفلسـفة العقليـة، دار المعرفـة الجامعيـة، الإسـكندرية 1989، ص110) ، وهـذا مـا يؤكـده أميـل بريهيـه ، إذ يقـول " هـذا هـو ظاهـر الحـال، شـك ديـكارت المنهجـي في حقيقتـه

معاكس له، فديكارت يبدأ فعلاً باليقين الذي يترتب على الشك بالذات – أي اليقين الكوجيتو، ومن هذا اليقين تتولد ضروب أخرى من اليقين، إما عند بيكون فإن اليقين ليس البداية، وإنما النهاية التي تقفل باب كل بحث " (40) ، (أميل بريهيه : تاريخ الفلسفة الغربية ، ترجمة جورج طربيش، ج4، ط1، دار الطليعة، بيروت 1983، ص76؛ ويقارن : ديكارت ، مقال في المنهج ، ترجمة محمد محمود الخضري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1968، ص28 – 29).

موقف بيكون من العقل :

هذا المحور يتداخل تداخلاً مباشراً بالمحور السابق وبخاصة عندما يتحدث بيكون عن اوهام العقل ، لكن اردت ان اضعه هنا وبشكل مستقل تحت العنوان اعلاه لسبب إلا وهو ان بيكون لم ينظر الى العقل إلا من حيث هو أداة تجريد وتصنيف ينساق بما في تركيبه من عيوب وأوهام تشوه الاشياء ، فهو بهذا المعنى القاصر على التجريد والتصنيف الذي قد شاع عند بعض مفكري عصر النهضة ، فمثلاً العقل عند ديكارت وجد في القدرة على الاكتشاف الرياضي ، والذي من خلالة يميز افكاره بوضوح بعضها من بعض ، فضلاً الى انه يربط كل فكرة بمنظارها في العلم الفيزيائي ويضعها في مكانها الذي يناسبها في صفة الفكر ، ولهذا فأن مصدر الخطأ ليس هو العقل بحسب رأي ديكارت ، وانما تَدخل من خارج العملية الطبيعية العادية للعقل ، وليس هناك سوى (الارادة) هي المسؤولة عن هذا الخطأ ، لكن نجد ان زميله العقلي اسبينوزا (ت1677م) يرفض ذلك، لانه يرى ان (الارادة والفهم) ليسا ملكتين مستقلتين الواحدة عن الاخرى، لان اعتماد فكرة في الذهن معناه قبولها ، ولهذا فأن مصدر الخطأ هو تجربتنا الحسية التي يسميها (خيالنا)، لكن نجد ان بيكون يخالفهم ، وينتهي الى أنه لا يمكن أن نصل الى اصلاح العقل إلا من خلال التمكن من العلم وأثراءهُ ، فليس هناك أي علاقة بينه ولن تكون على الإطلاق بين أفكار العقل وبين الأفكار الألهية التي صنع الخالق الأشياء بموجبها، وهنا يقول بيكون " الفرق ليس ضئيلاً بين أوهام العقل البشري وبين أفكار العقل الإلهي، أي بين آرائنا الباطلة وبين الخبايا الحقيقية التي طبعها الله في المخلوقات "(41)، (فرنسيس بيكون : الأرجانون الجديد، ص33)، وينظر : د. عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ج1، ط2 ، القاهرة (ب.ت)، ص 141.

هذا يعني أنه ليس بين العقل البشري والحقيقة أي قرابة طبيعة ، وأن حدَّه الذهن لا يمكن أن تعادل دقة الطبيعة، لذلك ينبغي أن نتجه الى (الطبيعة) ذاتها من أجل معرفتها ، وليس لدينا من سبيل في ذلك سوى (التجربة) ، وهذا الذي كان يهدف إليه بيكون، لأن اهتمامه كان يتجه بالذات الى أهداف هذه العلوم وهي البحث عن تأثير الأجسام السماوية في كثير مما يحدث على الأرض ، كما هو عند علم الفلك، ولهذا فهو يحصر هذه العلوم في ثلاثة موضوعات وهي (التاريخ – علم الذاكرة) و (الشعر – علم المخيلة) و (الفلسفة – علم العقل) ، علماً أن هذه العلوم الثلاثة ما هي إلا مراحل متتالية يجتازها العقل في تكوين العلوم، فالتاريخ هو تجميع للوثائق، والشعر هو تنظيم خيالي بحيث وقف عنده القدماء أو هو نوع من الحلم بالعلم، في حين نجد أن الفلسفة ما هي إلا تركيب وبناء عقلي، وهذه المراحل كلها قد بدت لبيكون متتالية – لماذا ؟ لأن اهتمامه كان منصباً على (علم الطبيعة) كونه العلم الوحيد الذي أنشغل به حقيقةً ، ففي نطاق التفكير في علم الطبيعة يأتي التاريخ ثم الشعر ثم الفلسفة، على اعتبار إن الأولين يمهدان للفلسفة، ومن حيث أن أهم موضوعات الفلسفة هي (الطبيعة) ، هذا يعني أن موضوع هذه العلوم عند بيكون هي الجزئيات وليس الكليات(42) ،

(د. حبيب الشاروني : فلسفة فرنسيس بيكون، ص145؛ ويقارن : فرنسيس بيكون، الأرجانون الجديد ، ص35).

فالتاريخ عنده يقسم الى (طبيعي – مدني – كنسي – وأدبي) الثلاثة الأولى موجودة عنده بالفعل ، إما الرابع فلم يوجد بعد، ولا نريد الخوض في التقسيمات الجزئية لهذه العلوم بقدر ما يكون التركيز على الأهم من ذلك، إما الشعر فيقسم الى (قصصي – تمثلي – ورمزي) ، والواقع أن بيكون لم يقتصر على اعتبار الشعر مجرد أحد أقسام العلوم البشرية ، ولهذا وجدناه قد أعطى اهتماماً خاصاً للشعر الرمزي، وهذا ما جاء في كتابه (حكمة القدماء) ، وذلك لما لهُ من دلالة تعين على فهم الطبيعة، في حين نجد أن الفلسفة تنقسم الى ثلاثة أقسام (الفلسفة الإلهية أو اللاهوت الطبيعي، والفلسفة الطبيعية، والفلسفة الإنسانية) ، وتناول هذه على الترتيب (الله والطبيعة والإنسان) (43)، (د. حبيب الشاروني : فرنسيس بيكون، ص145؛ ويقارن : فرنسيس بيكون، الأرجانون الجديد ، ص36).

في هذا التقسيم لا يبدو أن بيكون يفترق عن أرسطو الذي قسم قبلهُ الفلسفة الى (الإلهيات أو الفلسفة الأولى، الطبيعة، الأخلاق) ، لاسيما وأن بيكون يقرَّ بذلك، إذ يقول " أرغب في إلا أبتعد كثيراً عن آراء وأساليب القدماء " (44)، (فرنسيس بيكون، الأرجانون، ص39؛ ويقارن : أرسطو، ما بعد الطبيعة، ص62).

هذا يعني من كل ما تقدم أنه رغم الالتقاء بين بيكون والفلسفة التقليدية نجد أن تقسيمه يأتي بروح جديدة مختلفة عن السابقين عليه، فعند أرسطو كانت الفلسفة الأولى هي في الوقت ذاته علم المبادئ الأولية وعلم العّلل أو المبادئ لكل جوهر محسوس أو معقول إما عند بيكون فإن هذه العناصر تندرج في تنظيم آخر، فعلم المبادئ الأولية هو (الفلسفة الأولى) ، وعلم العلل هو (ما بعد الطبيعة) ، وعلم الإله هو (اللاهوت أو الألهيات) ، هذا يعني أن العقل في فلسفة بيكون يبدأ بمعرفة الطبيعة وهو مجال معرفة وعمل ظاهر للناس جميعاً، ثم يستعين بهذه المعرفة ليرتقي الى معرفة ذاته ثم يتطلع الى معرفة الله ، وقد تكون هذه الفكرة عن أصنام العقل تمثل وعياً ذاتياً ومحاولة لأضفاءه الطابع المسيحي على العلم ، وفي نفس الوقت يقوم بتطوير طريقة علمية جديدة موثوقة ، لأن هدف العلم هو معرفة الظواهر الطبيعية وللسيطرة عليها واستغلالها لصالح الإنسان ، والتجربة هي الطريق الوحيد الذي يمكننا من تحقيق هذا الهدف، فالعلم أذن لا يتقدم إذا اعتمد على النظر العقلي ، وهذا خلاف ما ذهب إليه ديكارت، لأن العلوم المختلفة لديه مبدأها الأسمى يكمن في الجذور التي لا تراها العين، وإنما يعرفها العقل وحدة، وهذه هي الميتافيزيقا التي تبدأ بوجود النفس ثم تصعد الى الله ثم لتعود من الله الى العالم، وربما يكون هذا الفارق هو أحد العوامل التي تفسر أننا لا نجد في تاريخ الفلسفة (أسبينوزا بيكوني) مثلما نجد فيها (أسبينوزا ديكارتي) ، لأن أسبينوزا هو الديكارتي الوحيد الذي استطاع تطبيق المنهج الديكارتي في المجالات التي أستبعدها ديكارت من منهجه وبخاصة في مجال الدين، بمعنى آخر، العقل الديكارتي هو نور فطري وهو أعدل الأشياء قسمة بين البشر، إما عند بيكون فإن العقل إذا ترك يجري على سليقته فهو انقاد للأهام، لأنها طبيعية فيه، ومن هنا كان بيكون يدعونا للاحتراز من أوهام العقل، لأن القضايا الدينية ليست من أوهام العقل، لذا يظل التسليم بها من قبل العقل قائماً عنده وعند أي بيكوني آخر، بينما لا يطلب ديكارت سوى بداهة العقل، هذه البداهة هي نفسها التي أتاحت لاسبينوزا فيما بعد من أخضاع الكتاب المقدس للنقد التاريخي وأشعال الثورة في الفكر الديني.

الخاتمة مع أهم الاستنتاجات :

من خلال سير البحث توصلنا الى جملة من الاستنتاجات ومنها :

درسنا في هذا الموضوع المعرفة عند فرنسيس بيكون ، ولكن من منظور مختلف، بمعنى حل الإشكالية وهي لماذا اعتبر جوك لوك زعيماً للاتجاه التجريبي – الحسي في الفلسفة الحديثة ولم يتم التوجه الى فرنسيس بيكون على الرغم من كونه تجريبياً – حسياً ومتطرفاً ويعد من كبار الفلاسفة التجريبيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر، فضلاً الى أنه سابق على لوك بقرناً من الزمان ؟؟!! من هذا السؤال أردت أن أكتب عن هذه الشخصية وأدرسها وأحللها وأفكك هذه الاشكالية من خلال النصوص الموجودة بين ايدينا ، وتكون الإجابة على هذا السؤال وفق رؤية مختلفة من خلال الاتي : لأن بيكون ركز على الطبيعة ومعرفتها، ولهذا لاحظنا أن فلسفته تدور على علاقة (الإنسان بالطبيعة) ، كون الإنسان خادم لها ومفسرها ويمكن أن يعمل ويفهم الكثير عنها، لذلك بيكون لم يهتم (بالحقيقة) بقدر ما اهتم (بالسيطرة على الطبيعة) ، ولهذا جاءت عبارته الشهيرة (المعرفة قوة) ، أما لوك فهو كان أقرب الى المنهج العقلي، ولهذا توجه في المعرفة الى (الحقيقة) ، وليس هو فحسب، بل أكثر الفلاسفة المحدثون سواء كانوا عقليين وعلى رأسهم ديكارت أو تجريبيين – حسين وعلى رأسهم لوك ومن جاء بعده، إذ كانت غايتهم الوصول الى (الحقيقة) الحقة.

وجدنا أن بيكون خالف أرسطو من خلال منطقه ونظريته في الاستقراء ويرجع ذلك الى أنها تعتمد على الأمثلة الإيجابية فحسب، بينما يكفي مثال مناقض الى هدم النتيجة المستخلصة كلها، فضلاً الى اعتبار أن هذا الاستقراء الإسلوب الغالب عليه هو الاستنباط والمثل الأعلى فيه القياس، على اعتبار أن هذا القياس من وجهة نظر بيكون لا يفيدنا في معرفة شيء جديد، لأن هذا القياس يسلم بصحة مقدماته ولا يجوز الشك فيها، هذا يعني أن القياس ليس وسيلة لكشف الحقائق ولا يصلح أساساً لمعرفة العالم الخارجي، أي أن بيكون في منطقة الجديد (الأرجانون) لا يبدأ من فراغ ، بل يبدأ من منطق أرسطو لكي يرّد عليه، ورغم كل هذا تم توجيه النقد لبيكون من الفيلسوفين (براتراند رسل وكارل بوبر) ، فرسل يرى أن هدف المنهج البيكوي هو نفسه عند سقراط، على اعتبار أن التوليد السقراطي هدف منهجه هو أن يساعدنا على التذكر كونه قوة رؤية الشيء أو طبيعته الحقيقة، هذا يعني أن الهدف من ذلك هو الإدراك الحدسي لماهيات الأشياء، إما بوبر يرى أن التشابه بين المنهجين يذهب الى أكثر من هدف، على اعتبار أن التوليد السقراطي يتكون أساساً من مرحلتين (مرحلة التهكم ومرحلة التوليد) ، وهذه المرحلة السقراطية يناظرها الجانب السلبي لدى بيكون والمتمثلة في أوهامه الأربعة.

بما أن بيكون يعد من ذوي العقول العلمية فأخذ يؤكد على الاستقراء كونه مقابل للقياس، ولهذا حاول أن يجد نوعاً ما من الاستقراء أفضل من ذلك النوع الذي أطلق عليه الاستقراء بالعدد البسيط، ولهذا كان معادياً لأرسطو، ولكنه كان يقدر ديمقريطس تقديراً عالياً على اعتبار أن فلسفته قد عرفت الطريق الى التمييز بين العلل الفيزيقية والعلل الغائية، ونتيجة لهذا وجدنا أن بيكون يضع فلسفته فوق فلسفة (أفلاطون وأرسطو) ، لأن مذهبه الذري كان له العون في تأسيس فلسفته.

لاحظنا أن بيكون لديه مآخذاً على (أفلاطون وأرسطو) بسبب دعوتهما للعلم النظري واحتقارهما للتجربة، إذ كان هجومه ونقده العنيف لهما جاء كرد فعل بسبب المغالاة التي انتهى بها فلاسفة العصور الوسطى، وهي أن الحقيقة تطلب لذاتها لا لما يترتب عليها من اعتبارات عملية وليس هذا فحسب، بل حتى أن بعض الاستقرائيين لم يسلم من نقده على الرغم من أنه دعا الى منهج استقرائي

في البحث، لكنه منهج مغاير ، وهذا دليل على أن اتجاه بيكون كان نحو (المعرفة والعلم).
وجدنا أن بيكون قد اتخذ موقفاً وسطياً بين (أفلاطون وأرسطو) ، على أعتبار أن الأول يجعل العلل الصورية في عالم آخر وهو عالم (المثل) ويطلق عليها هذا المصطلح بحيث تنحصر المعرفة عنده في جهاد الإنسان ليرتقي من خلال الجدل الصاعد حتى يبلغ المثل دون أن يتجاوز المعرفة ، لكن من جانب آخر وجدنا بيكون يمتدح أفلاطون من خلال جعله الصورة هي الموضوع الحق للمعرفة، لكنه يآخذ عليه أيضاً من أن الصورة تكون خالصة من المادة بحيث ينتهي فيها الى علم الإلهيات، أما تلميذه أرسطو فهو يضع العلل الصورية في الواقع التجريبي، ولكنه يجعل الوصول إليها أمراً سهلاً وهو الاكتفاء بمعرفة الجدل وقواعد المنطق، في حين نجد أن إدراك (العلل الصورية) عند بيكون يستغرق شوطاً طويلاً يبدأ من التاريخ ثم الفيزيقا حتى يبلغ الى تلك العلل الصورية ، أما (العلل الغائية) فهي قد جاءت في غير موضعها الصحيح من قبل الفلاسفة السابقين عليه ، فهي اختلطت عند أرسطو وعند جالينوس بالعلل الفيزيقية على اعتبار أن هذه العلل قد غاب مجالها الميتافيزيقي.
وجدنا ايضاً أن أهم أجزاء فلسفة بيكون كانت قائمة عما يدعوه بالأوهام، إذ كان يقصد بها العادات السيئة للذهن والتي تسبب وقوع الناس في الخطأ.
من حيث المقارنة بين (بيكون وديكارت) كونه تقابل بين (الاستقراء والاستدلال)، وجدنا أن مدرسة بيكون لم تهجر كلياً الميدان النظري، أما مدرسة ديكارت فهي لم تهمل تماماً ميدان المشاهدة والتجربة، ولهذا كان بيكون يعلم أن الفرضية التي تقوم على النتائج الاختبارية تمثل أداةً نافعة لمتابعة التجربة والاختبار، ومن هنا فهو يشترك مع ديكارت في العلل الغائية، الأمر الذي يشجع على اختزال الظواهر الفيزيائية الى ظواهر كمية وميكانيكية (المادة والحركة) ، أقصد اختزالها الى نتائج عملية بحيث توفر السيطرة على الطبيعة بدلاً من الحكمة النظرية، بمعنى أن بيكون كديكارت كان يرغبّ في الفصل بين (العلم والميتافيزيقا) على الرغم من الاختلافات العديدة بينهما.
لاحظنا أن بيكون قد جهل العقل تماماً فهو عند ديكارت يُعد الاكتشاف الرياضي، ولهذا فإن بيكون يرى أنه لا يمكن أن ننتهي الى الطريق الداخلي للعقل والى التمكن من العلم، لأنه ليس هناك اي علاقة بينه على الاطلاق بين (افكار العقل والافكار الالهية) ، بمعنى انه ليس بين العقل البشري والحقيقة أي قرابة طبيعية وأن حدّة الذهن لا يمكن أن تعادل دقة الطبيعة، ولهذا ينبغي أن نتجه الى الطبيعة ذاتها ، وليس لدينا سبيل في ذلك سوى (التجربة).

قائمة المصادر والمراجع :

د. صباح حمودي المعيني: نظرية المعرفة في الفكر الفلسفي العربي المعاصر(مصر والعراق) ، بيت الحكمة ، ط1 ، بغداد 2009، الفصل الاول وللمزيد من التفاصيل يراجع ايضاً كتابنا : دراسات في نظرية المعرفة من خلال الدروس الفلسفي العراقي المعاصر – دراسة تحليلية ، دار الكتب والوثائق ، مكتبة الصفوة ، ط1 ، بغداد 2017.

د. حبيب الشاروني : فلسفة فرنسيس بيكون ، دار الثقافة ، المغرب 1981 ، وايضاً : رونالد ستروميروج ، الفكر الاوروبي الحديث من (1601-1977) ، ترجمة احمد الشيباني ، دار القارئ الرعبي ، ط3 ، القاهرة 1994.

د. كامل محمد عويضة : فرنسيس بيكون فيلسوف المنهج التجريبي الحديث ، دار الكتب العلمية ،

القاهـرة 1993.

د. حبيب الشاروني : فلسفة فرنسيس بيكون .

فرنسـيس بيكـون : الارجانـون الجديـد – ارشـادات صادقـة في تفسـير الطبيعـة ، ترجمـة عـادل مصطفـى ، مؤسسـة هنـداوي ، القاهـرة 2018 ، ويقـارن ، د. حبيـب الشـاروني ، فلسـفة فرنسـيس بيكـون .

د. كامل محمد عويضة : فرنسيس بيكون فيلسوف المنهج التجريبي .

د. قيس هادي احمد : نظرية العلم عند فرنسيس بيكون ، دار الشؤون الثقافية ، ط2، بغداد 1986.

د. حبيب الشاروني : فلسفة فرنسيس بيكون .

كارل بوبـر: اسـطورة الاطـار في الدفـاع عـن العلـم والعقلانيـة ، ترجمـة يمنـى طريـف الخـولي، سلسـلة عـالم المعرفـة ، دار مطابـع السياسـة ، الكويـت 2003 ، ويقـارن : يمنـى طريـف الخـولي ، فلسـفة كارل بوبـر منهـج العلـم ، دار الهيئـة المصريـة للكتـاب ، مـصر 1989.

توفيق الطويل : أسس الفلسفة ، دار النهضة العربية ، ط7 ، القاهرة 1976.

كارل بوبر : أسطورة الاطار .

المصدر نفسه ، ويقارن : فرنسيس بيكون ، الارجانون الجديد .

المصدر نفسه.

المصدر نفسه.

المصدر نفسه ، وللتفصيلات يراجع : فرنسيس بيكون : الارجانون الجديد .

* الفيزيقـا : بمعنـى الفيزيـاء ، فهـي لفـظ معُـرب مـن أصـل لاتينـي صيـغ عـلى اللسـان العـربي بدراسـة علـم الطبيعـة ، أذن هـي العلـم الـذي يـدرس المفاهيـم الأساسـية مثـل (الطاقـة – القـوة – الزمـان) ، وكل مـا ينبـع مـن هـذا مثـل الكتلـة– المـادة وحركتهـا، وعـلى نطـاق أوسـع هـو التحليـل العـام للطبيعـة والـذي يهـدف الى فهـم كيـف يعمـل الكـون ، للتفصيـلات. يراجـع : جميـل صليبـا، المعجـم الفلسـفي، ج2، ط1، ذوي القـربى، طهـران 1385هــ ، مـادة (فيزيقـا).

د. حبيـب الشـاروني : فلسـفة فرنسـيس بيكـون، ويقـارن : كريـم متـي ، الفلسـفة اليونانيـة، دار مطبعـة الارشـاد ، بغـداد 1971.

ينظر : فرنسيس بيكون ، الارجانون الجديد .

المصدر نفسه ، ويقارن : د. قيس هادي احمد ، نظرية العلم عند فرنسيس بيكون .

كريـم متـي : الفلسـفة اليونانيـة ، وينظـر: د. حبيـب الشـاروني ، فلسـفة فرنسـيس بيكـون، ويقـارن : ارسـطو ، مـا بعـد الطبيعـة ، ترجمـة جـمال حسـنين ابـو طـوق ، دار الـبراق ، ط1 ، مـصر 2009.

كريم متي : الفلسفة اليونانية ، ويقارن : د. كامل محمد عويض ، فرنسيس بيكون .

المصدر نفسه ، وايضاً : د. حبيب الشاروني ، فلسفة فرنسيس بيكون .

د. فيس هادي احمد : نظرية العلم عند فرنسيس بيكون .

ينظر: فرنسيس بيكون ، الارجانون الجديد .

ينظـر: ارسـطو ، السـماع الطبيعـي ، ترجمـة عبـد القـادر قينينـي ، دار افريقيـا الـشرق ، ظ1 ، القاهـرة 1998، (المقالـة الاولى) ، ويقـارن : فرنسـيس بيكـون ، الارجانـون الجديـد .

د. حبيب الشاروني : فلسفة فرنسيس بيكون ، ويقارن : ارسطو ، السماع الطبيعي، (المقالة التاسعة) .

د.حبيب الشاروني: فلسفة فرنسيس بيكون، ص113 .

* الاستقراء : كلمة أصلها يوناني وموجودة في أعمال أرسطو ولكنها بدأت تثير انتباهاً خاصاً مع تطور العلم الطبيعي التجريبي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وقد أسهم بنصيب كبير في إيضاح مشكلات الاستقراء كل من (فرنسيس بيكون، جاليلو، نيوتن، ومل وغيرهم) ، بحيث يصبح واحداً من أشكال الاستنتاج الاستدلالي، لأنه من الممكن الانتقال من حقائق مفردة الى قضايا عامة ، ونتيجة لهذا فهناك ثلاثة أنواع للاستقراء: الأول (الكامل) وهو قضية عامة بشأن فئة بأكملها تستنتج على أساس محض كل عناصرها فهو يعطي نتيجة صحيحة ولكن مجاله محدود، لأنه لا يطبق إلا على الفئات التي يسهل ملاحظة كل أفرادها، والثاني (الاستقراء عن طريق التعداد) وهو الشائع، والثالث (الاستقراء العلمي)، هذان النوعان الاخيران يعدان من الاستقراء الناقص، لمزيد من التفاصيل يراجع: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة : فؤاد كامل وجلال العشري وآخرون، دار مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (ب.ت)، مادة (استقراء).

* الوهم: يستعمل بيكون كلمة (وهم) والتي تعني عنده (الصورة) التي ترسم في الذهن عن الحقيقة، لكن ليس الحقيقة نفسها ، اي الفكرة التي تؤخذ خطأ على انها شيئ ، وهي ليست بشيئ من الواقع الخارجي ، وهذه الافكار هي مصدر الاخطاء كلها ، لذا فأول واجب على المنطق هو ان يتعقبها واحدة تلو الاخرى فيمحها محواً ويجتثها من اصولها، للتفصيلات يراجع : زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة ، طبعة لجنة التأليف والترجمة ، مصر 1936، ص62.

فرنسيس بيكون : الارجانون الجديد ، ويقارن : د. حبيب الشاروني : فلسفة فرنسيس بيكون ، وايضاً : رونالد سرومبروج ، تاريخ الفكر الاوربي الحديث .

فرنسيس بيكون ، الارجانون الجديد ويقارن : د. حبيب الشاروني : فلسفة فرنسيس بيكون ، وينظر : د. كامل محمد عويضة ، فرنسيس بيكون.

د. كامل محمد عويضة : فرنسيس بيكون ، ويقارن : فرنسيس بيكون ، الارجانون الجديد وايضاً : د. صباح حمودي ، دراسات في نظرية المعرفة .... .

فرنسيس بيكون : الارجانون الجديد ، ويقارن : د. حبيب الشاروني : فلسفة فرنسيس بيكون ، وينظر: رونالد ستروميرج ، تاريخ الفكر الاوربي الحديث .

د. كامل محمد عويضة : فرنسيس بيكون – فيلسوف المنهج التجريبي .

ينظر: د. قيس هادي ، نظرية العلم عند فرنسيس بيكون .

المصدر نفسه.

المصدر نفسه.

د. حبيب الشاروني : فلسفة فرنسيس بيكون .

براتراندرسل : تاريخ الفلسفة الغربية ، ترجمة محمد فتحي الشنيطي ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة 2011.

د. يمنى طريف الخولي : فلسفة كارل بوبر منهج – منطق العلم ، دار الهيئة المصرية للكتاب ، مصر 1989 ، ويقارن : كارل بوبر ، اسطورة الاطار .

د. يمنى طريفة الخولي: فلسفة كارل بوبر ، وايضاً يراجع : كريم متي ، الفلسفة اليونانية .

د. يمنى طريف الخولي: فلسفة بوبر ، ويقارن : كريم متي ، الفلسفة اليونانية ، وللتفصيلات يراجع : راوية عبد المنعم عباس ، ديكارت ابو الفلسفة العقلية ، دار المعرفة – الجامعية ، الاسكندرية ، 1989.

اميـل بريهيـه : تاريـخ الفلسـفة الغربيـة ، ترجمـة جـورج طربيـشي ، ج4 ، ط1 ، دار الطليعـة ، بـيروت 1983 ، ويقـارن : ديـكارت ، مقـال في المنهـج ، ترجمـة محمـد محمـود الخضـيري ، دار الكتـاب العـربي للطباعـة والنـشر، القاهـرة 1968.
فرنسـيس بيكـون : الارجانـون الجديـد ، وايضـاً د. عبـد الرحمـن بـدوي ، موسـوعة الفلسفة،المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنـشر ،ج1 ، ط2، القاهـرة 2019.
د. حبيب الشاروني : فلسفة فرنسيس بيكون .
المصدر نفسه ، ويقارن : فرنسيس بيكون الارجانون الجديد .
فرنسيس بيكون : الارجانون الجديد ، ويقارن : ارسطو ، مابعد الطبيعة .